



مدى

من زمن التوهج



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

فخرى سليم

العدد (5532) السنة الحادية والعشرون
- الخميس (19) تشرين الأول 2023

كوكب حمزة



كوكب حمزة أحبّ بغداد كثيراً فجرحته أكثر!

بين فترة وأخرى طوال عشر سنوات أو أكثر. وعلى النقيض من إشارات من عودة الفنان إلى "موقعه الطبيعي"، فكوكب لا ينفيه فحسب بل يسخر منه، فهو إن عاد إلى بغداد إنما يعود إلى مدينته التي سماها "يا نجمة". وحين تقطعت به السبل نحوها، غنى لها مناجياً "القنطرة بعيدة". هو من مركز حيويتها الثقافية وابن رفعتها الروحية مثلما هو أمير من أمراء أنغامها الرفيعة. يعرف كوكب حمزة جيداً أن الغربية طالت بل ثقلت عليه، فهو يقول: "ابتعادي عن هذا الرحم يؤذيني ويهزني بعنف، وهو ما أراه أحياناً يضعف جملتي الموسيقية ويشوه روحي اللحنية. نعم الوجد الدائم لا يخلق فناً أو إبداعاً كبيراً، لذا أكثر المبدعين العراقيين في حال جذب وفي حال عدم قدرة على التعبير، فغربتهم طالت وامتد الوجد طويلاً، ومثل هذا الحصار الروحي أشك أنه ينتج فناً عميقاً". وهو بوعيه الحاد هذا إنما يعرف مأزقه وحدود محنته التعبيرية والإنسانية.

وما بين جرحين تبادلها مع بلاده عبر سلطتين بائستين سابقة وحالية، وقلب مشطور بين بغداد ودمشق، ثمة أغنية مؤجلة تشبه فرحة شبيه المستحيل بخروج جنوبه العراقي من مدار عذابه، ونغم تركيبى المسارات، يشبه التركيب المعقد لأزمته الروحية وأزمة وطنه ومجتمعه، ومن أجل أن يمتد تأثيره الروحي إلى أجيال جديدة ترنو إليه كطير من "الطيور الطائرة"، فيما هو يريد أن ينهي مشوار التشبث هذا في مراجعة عميقة مع النفس وسلام أعمق مع الناس... مراجعة كالتي بدت حينها سؤالا وجودياً كان جريئاً للغاية بمواجهته كما فعل في أغنيته "يا ابن آدم".



بلايه ليجد نفسه في منفى قاس، يردّد في سهوبه المعتمة أغنيات لا يردّها أحد، ومرة ثانية حين انتمى بصديق لفكرته الشخصية عن الجمال وانسجم عميقاً مع قيم الحرية، بوقوفه معارضاً لسلطة ما بعد ٢٠٠٣ في بلاده وعاند صعود قيم التخلف الحضاري السائدة فيها. منذ أيام، تدور أحاديث في الأوساط الثقافية في بغداد عن عودة وشيكة لكوكب حمزة إلى العاصمة العراقية، وإدارته منصباً في المؤسسة الثقافية الرسمية. غير أن حديثاً كهذا بدأ مستهلكاً لكثرة ما تردّد

اللحن المركّب المسارات النغمية (صار العمر محطات) الذي ما انفك علامة على متانة النسيج اللحنى عند كوكب وفرداته. وإذا كان هناك من تأثير تخريبي مريع للسياسة العربية والعراقية على الثقافة، فهو لا ينطبق على حقل إبداعي وفني مثلما ينطبق على الموسيقى. في حالة كوكب حمزة، فقد قتلته السياسة مرتين: مرة حين أقصته بكل غلاظة وقسوة عن بيئته الاجتماعية والثقافية في صدامه الشخصي والفكري مع النظام الديكتاتوري الحاكم في

علي عبد الأمير

حتى وإن بدا بعيداً عنها، فهو لا يتردد في تلبية نداءها الجمالي، فها هو الملحن وصانع الأنغام العراقي البار كوكب حمزة يهفو كسير القلب لمعشوقته التي رقى لها كثيراً. ما إن دعت به بيروت لحدث ثقافي عراقي، فسيغني بصوته المجرّح شوقاً لبغداد من نص كتبتّه مريم خريباني. لا أغنية رفيقة مبتكرة الروح والنغم وجديدة الإيقاع عرفتها بغداد في فترة انفتاحها الثقافي والاجتماعي القصيرة في سبعينيات القرن الماضي، إلا وكانت طبعها لمسة من كوكب حمزة، فهو من أخذ العاطفة من شكلها الضيق (حب امرأة لرجل) إلى أفق أوسع، كما في أغنيته الفريدة "هوى الناس" التي كان يرددها بصوته في حديقة جمعية التشكيليين العراقيين في بغداد يوم كانت فسحة للحدث الحقيقية ثقافياً واجتماعياً، فتندى الأجواء وترقّ الأسماع وتهفو الأرواح.

أربعة من أصوات الغناء "العاطفي" العراقي المعاصر في فترته الذهبية (جيل السبعينيات)، قدّمها كوكب حمزة: صوت الفرات الخضيب حسين نعمة عبر أغنية فريدة في وقتها هي "يا نجمة"، وستار جبار الذي مات سريعاً محترقاً بعداباته الشخصية وعذاباته بلاده، وسعدون جابر الذي لولا حداقة كوكب حمزة في صنع ألحان تناسب صوته محدود الإمكانات لما وصل إلى ربيع ما وصل إليه من حضور عراقي وعربي. والمطرب رياض أحمد الذي بدأ مشواره بأداء

"ابن آدم" أول أغنية وجودية



في الكوليبه الثاني يتحول النغم الى رست على درجة الصول. ولكنه ليس الرست المعتاد صاحب السلطنة وسيد الأنغام العربية في التجسيد الأدائي، إذ يصدح الصوت في الليالي المصريّة والقنطرة الحليّة. كلا... رست طري ينساق مع تنامي السيناريو اللحنى، أشبه بعنت على الحياة والوجود: "تسيورة عمري وياك يا ابن آدم". ثم يرنخي هذا الصدوح ليتحول الى نغم الحجاز كأنه وداع حياة.

الخاتمة تكون الرجوع مثل العود الأبدي الى الإيقاع نفسه، والنغم نفسه البيات، ولكن الإيقاع هنا يشدّد كأنه إيقاع جنازّي نسمعه في العزاءات الحسينيّة: "بجي الشموع الروح يا ابن آدم.. بس دمع ما مش صوت.. لا هي سنة وستنتين يا بنادم لا هي حسبة موت.. حسبة عمر عطشان والمائي حدره يفوت..". الأغنية تبدأ بالإيقاع نفسه وتنتهي به. لماذا؟ لتوضيح دورة الحياة نخرج الى الدنيا من رحم أمهاتنا نيكى ونخرج منها يكون علينا!! أول أغنية وجودية في تاريخ الغناء العراقي. كنت أتمنى أن أفضل أكثر عن هذه الأغنية، خصوصاً من باب الإيقاعات. لكن الموضوع الصحفي لا يحتمل الإطالة بالأمور الفنيّة. للأسف الأغاني تذكر اسم المطرب وتغفل اسم الملحن والشاعر.

أحمد العاشم

نخرج الى الدنيا نيكى أطفالاً، ونخرج منها يكون علينا.. أغنية "ابن آدم" التي لحنها الفنان الكبير كوكب حمزة وكتب كلماتها الشاعر أبو سرحان. في هذه الأغنية هناك ما يمكن أن نسميه السيناريو الغنائى. ما المقصود؟ هنا تتشارك الكلمات واللحن وصوت المغني في السيناريو. الأغنية، لجهة مضمون الكلمات ليست غزليّة وإنما وجدانيّة، ولعلي لا أبالغ إن قلت إنها أول أغنية وجودية. فهي تشبه سيرة الوجدان منذ الولادة حتى الممات.

كيف رسم الملحن كوكب حمزة السيناريو اللحنى؟ تبدأ الأغنية بنغم البيات، مع أن مقدمة اللحن من الصبا. البيات شفيف وقابل للتحويلات النغمية بمختلف أشكالها. يحتاج اللحن الى صوت مطرب شجي رخم فيه طبقة قرار جلييلة مشبعة للتلون الموسيقي. صوت هامس رقرق كخبر مياه. حينها كان صوت حسين نعمة في عزّ تمكّنه واقتداره من طبقة الري القرار. طبقة دافئة كي يصدح الوجدان. وسأعود لمعنى الصدح.

أغنيتنا العراقية.. مع كوكب حمزة

عواد ناصر

والمدنيين الذين قادوا المؤسسات الثقافية والإعلامية في البلد لعقود طويلة. سألته: ما هي الأغنية النموذجية التي تتطلع لئن تنتجها، انطلاقاً من تجارب لحنية عربية، كصيغة جديدة ونهائية؟

أجاب: لو تسنى لي أن أجمع أجزاء من تجارب لحنية عربية مثل: زياد الرحباني ورياض السنباطي ومحمد الموجي لأنتج أغنية عربية

جديدة. سألته: ... ومحمد عبدالوهاب؟ رد: عبدالوهاب فنان قدير، رغم السلطة والنفوذ اللذين بين يديه، لكن الكثير من الأغاني التي لحنها يعوزها "المنطق" الموسيقي، فهو مغرم بإدخال آلات حديثة في الأغنية بلا مبرر ولا رابط بينها. لكنه اختتم حياته بأغنية مهمة هي "من غير ليه".

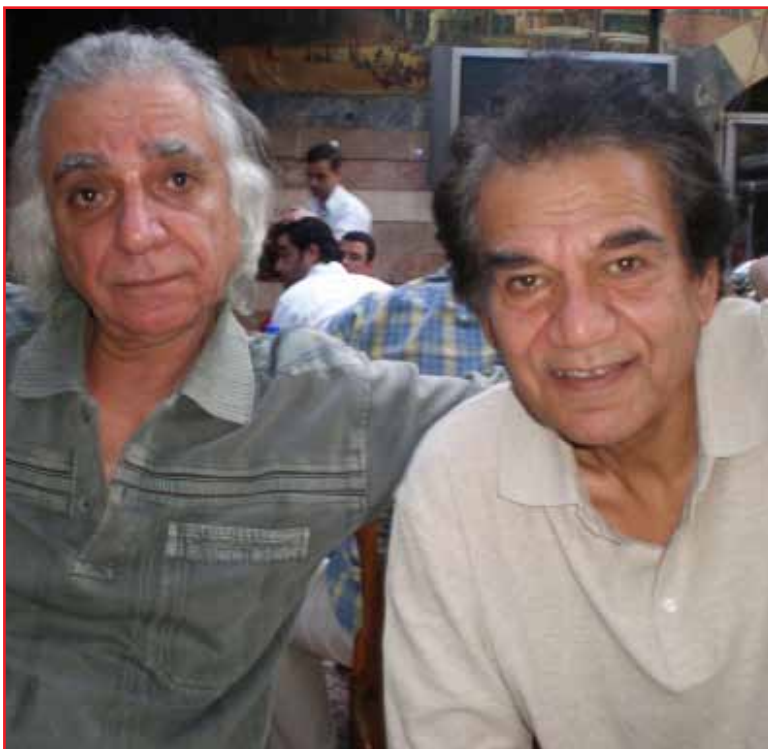
وعلى سؤال: من هو أكثر الملحنين العرب إسهاماً في حداثة الأغنية العربية؟ أجاب: محمد الموجي منذ تلحينه لأغنية "صافيني مرة" لعبدالحليم حافظ وبلغ الذروة في أغنية "كامل الأوصاف".

سؤالي الأخير كان حول الهوية الكبيرة بين الأغنية العراقية والشعر الحديث، وأين ممكن الخلط؟

أجاب: اللهجة الشعبية أقرب للناس وهي أسهل توصيلاً، والشاعر الشعبي الغنائي الذي كتب الأغنية تمرس بانتاج نصوص مبدعة مثل المرحوم نياز كزار (أبو سرحان) لتبقى القصيدة الفصيحة بعيدة عن تناول الملحن، لأسباب عدة منها: نخبيتها وجلوستها في برج عاجي، ثم أن مواصفات الأغنية تختلف عن مواصفات القصيدة تقنياً واستتلاف أغلب شعراء الفصحى من كتابة أغنية تسير في أزقة الناس ممسكة بأيديهم وتضيء لهم الأركان المعتمة في حياتهم اليومية.

أما الأصوات الجيدة ممن تعامل معها فنياً والأكثر استجابة للحن والتصرف بحرية معه فهم: مائدة نزهت وفاضل عواد وأخيراً سيدة سورية شابة تقيم في بريطانيا اسمها هالة أرسلان.

ولأن "المجالس بالأمانات" كما يقال، فقد طغى حديث كوكب بالمرارة واليأس لم أشأ أن أنقله كله، فالساحة الغنائية العراقية والعربية تعج بالرداءة والقائمون على السوق يفضلون البضاعة الرخيصة لتكريس الجهل والسطحية لتمكين العملة الرديئة من طرد العملة الجيدة، وكثير من الفنانين تحولوا إلى بقالين يعرضون بضاعة أنتجت على عجل بلا روح ولا عمق ولا ارتفاع بأذواق الجماهير الواسعة من المستمعين.



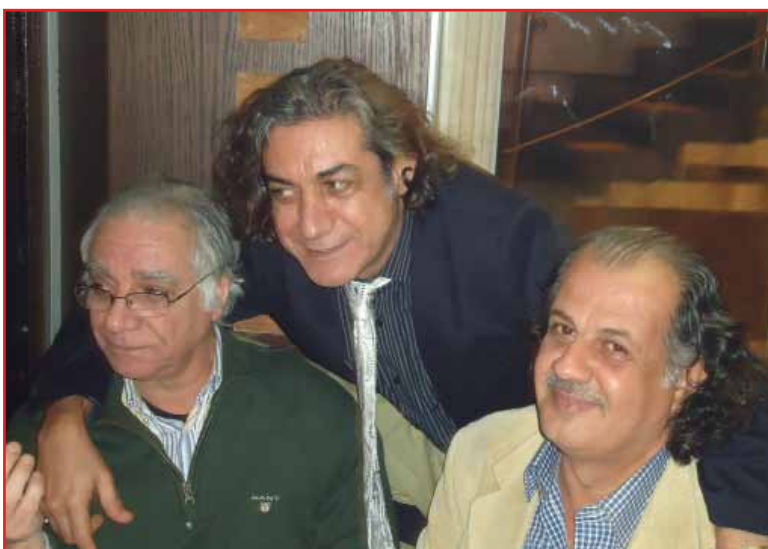
في زيارته الخاطفة، قبل أيام، إلى لندن ضيفت، وهو ليس بالضيف، صديقي الملحن كوكب حمزة في بيتي، وكأي صديقين قديمين نبشنا معاً ذاكرتنا المشتركة فتشعب بنا الكلام واتصل وانفصل، ودرنا على الكتب والموسيقى والأغاني والنساء والسياسة - السياسة كانت الموضوع المدعاة للمرارة - أما العراق فكان أصل السوالف وجذر الكلام الذي تفرع كثيراً حيث كدنا نتيه لولا معرفتنا الوثيقة بما جرى، وما يجري، وتبادلنا الشعور الشخصي ذاته: كان إحساسنا واحداً بالغرابة المبكرة - أي ما قبل الهرب من القسوة والخوف واللامكان - حتى بدأت بطرح بتلك الأسئلة حول أغنيتنا العراقية التي لا يجيد الإجابة عليها إلا أمثاله، أي العراقيون بمشكلاتها وانتاجها وإذاعتها.

سألته: هل يجوز لنا أن ندعي بأن ثمة أغنية عراقية؟

قال: إذا اعترفنا بالتنوع القومي / اللغوي في العراق، لا يمكن القول بوجود أغنية عراقية، ذلك أن المركز شديد القسوة على الأطراف، والمتن المهيم لم يعترف بأي هامش فني، فبقيت الأغنية العراقية عربية اللغة واللهجة وما عداها لم تجد لها مكاناً في وسائل الإنتاج والتسويق والترويج المركزية الرسمية، ومن هنا جاءت أغانيها مثل طيور مقصوصة الأجنحة لا تبلغ سماء الوطن كلها، وكذا الأمر بشأن أغاني الكرد والتركان والأيزيدية وسائر الأقليات التي سميها بـ "المتأخية" بينما هي أعداء يجب إبادتهم على أيدي الحكام الشوقيين وموظفيهم العسكريين

كوكب حمزة.. الناطق الرسمي لصوت الإغتراب

سامر المشعل



كوكب حمزة الذي همس للقمر "يمتى تسافريا كمر واوصيك" .. بماذا أوصيت القمر يا كوكب؟ لم نكتب تطفلاً على همس كوكب للقمر.. الذي أوصاه بحب الوطن والناس.. "محد يعرفك يا هويا الناس، غير ليحب الوطن والناس".

نعم عاش ليغني للوطن والناس، والمتمعن بأغاني كوكب، يلمس أن ذاتيته مختفية ويتقدم الحس الجمعي بلغة الخطاب الغنائي "حتى لا فد يوم الدنيا تراوينا فراك.. كل نبوءاتك القدرية السيئة، التي كنت تخشاها من الفراق والضياء، وقعت وامضيت عمرك تبحث عن وطن يضمد جراح غربتك.. فهو عادة ما يربط الحب كعاطفة إنسانية وجدانية، بعاطفة اسمي هي حب الوطن "أنا شوكي العراق، والعراق بعينج الحلوه ينام في أغنية" بساتين البنفسج".

لم يكن حب العراق حاضراً في أغانيه وحسب، إنما الهم الوطني مستحوذ على تفكير ومخيلة ووجدان واحاديث كوكب حمزة، وكنت قد التقيته قبل أيام في بيروت قبل اندلاع الثورة اللبنانية، بمهرجان خاص للاحتفاء بالفن العراقي، من

الحرز عن ارواحنا بجمالية ونشوة، حتى صارت أغنية "الطيور الطائرة" النشيد الوطني للمغتربين. أما على المستوى الإبداعي، فعلى الرغم من أنه لم يقدم كما كبيراً من الإغاني مثل بقية الملحنين، إلا أن نوعية ما قدمه تشكل أهمية كبيرة في خارطة الغناء العراقي، فهو من قادة الحداثة في الأغنية السبعينية، يدع في تقديم الصياغات اللحنية، ويحفز الآخرين على الإبداع، وعندما سألت الملحن المبدع الراحل طالب القره غولي من يستفزك من الملحنين؟ قال لي "كوكب حمزة يستفزني ويحرضني على الإبداع".

ونجد في الحان كوكب تنوعاً في المقامات والإيقاعات وكذلك التلوين الإداثي للمطرب، وهذه الانتقالات تتم بتلقائية إبداعية، وكأنك تقلب صفحات كتاب، مستمتعاً بقراءته، ما يخلق ثراءً غنائيقياً وهذا ما نراه في أغنية "هوى الناس"، وعلى الرغم من انتقائه للنصوص الشعرية الرصينة والمكتنزة في التعبير، إلا أن الموسيقى عادة ما تتفوق على النص. برع كوكب بحكم ثقافته التشكيلية في مجال التصوير الموسيقي، أي أنه يمنح الأغنية تصويراً موسيقياً يرتسم بمخيلتنا أشبه باللوحة، كما في أغنية "حاصودة" لمائدة نزهت، وأغنية "الخطرة" لسعدون جابر وغيرها. ليس هذا كل ما نقوله عن الملحن المبدع كوكب حمزة.

يقدم عراقية على فنه. وعندما انطلقت التظاهرات في ساحة التحرير، مسك عوده ليلحن أغنية وطنية وبالسرعة القصوى بعنوان "رديك وطن" بعد أن هجر الإلحان لفترة طويلة. كوكب حمزة هو الناطق الرسمي لصوت الإغتراب في دواخلنا، إغانيه مناديل شفافة تسمح ادرا

قبل منظمه "روز لكسمبورغ" الألمانية، ورفض كوكب الحديث لقناة فضائية، كانت توجهاتها غير وطنية، فأخذنا نلصقه بعبارات اللوم أنا وصديقه حسين اللامي، نقول له: "ان القناة تطلبك للحديث كملحن وفنان، ما شأنك أنت بسياسة القناة وتوجهاتها السياسية". وكما كنا احمقين حينها، لان هذا الرجل عراقي حد النخاع،

حكاية الفنان كوكب حمزة وإمراة قطار أبو شامات

يوسف أبو الفوز



بدأ لايد من القول، انها حكاية منحازة جدا، ليس بدافع تعصب لأسباب ما، أيولوجية أو كوننا ابناء عراق واحد، بل ازمع انها بدوافع جمالية موسيقية. من هنا يمكن فهم لماذا راحت زوجتي تشير الى ان كوكب حمزة سيكون مسؤولا ان حصل معي (شيئا ما!!) فلعدة ايام، ومنذ أن عثرت على رابط منشور لأغنية (حمد)، والاغنية لم تتوقف لأيام، اذ راحت تصدح وتنثر الحيوية في شقتنا الصغيرة، تدور وتدور أوتوماتيكيا:



مرينه بيك حمد واحنا بقطار الليل واسمعنا دك قهوة وشمينا ريحة هيل .ولكن هناك اغنية قديمة، يغنيها المطرب ياس خضر، من الحان الفنان محمد جواد اموري، ولا يوجد عراقي لم يسمعها؟ . اعرف ذلك، بل واعرف ان قصيدة هذه الاغنية بالذات، كانت من بدايات النصوص التي لحنها الفنان كوكب حمزة وذلك عام ١٩٦٨، لكن اسبابا عديدة، كانت وراء عدم تسجيل الاغنية آنذاك، بينما وجدت الحان اخرى لهذه القصيدة طريقها الى الانتشار!

والان؟! لا يخفي كوكب حمزة في أحاديثه ولقاءاته الصحفية، اعجابه بنصوص الشاعر العراقي مظفر النواب، منذ التقاه اول مرة عام ١٩٦٣ في احدي المعتقلات، فكلاهما يعتنق ذات الافكار التقدمية التي تنشد بناء مجتمع لا يستغل فيه الانسان انسانا اخر. مجتمع يسوده الحب والمشاركة والعدالة الاجتماعية و(كبادرة من الوفاء نحو الشاعر الكبير)، اعاد الفنان المتجدد كوكب حمزة، تلحين قصيدة (الريل وحمد) الشهيرة، بصياغة لحنية جديدة، وقدمها بصوت جديد لمطرب واعد اسمه (علي رشيد)، يعتبره الفنان كوكب حمزة (صوت مستقبلي)، وحاز ثقة الشاعر مظفر النواب حين استمع اليه.

قصيدة (الريل وحمد)، بدأ الشاعر مظفر النواب بكتابتها عام ١٩٥٦ واكملها عام ١٩٥٨، وحين نشرت قال عنها الشاعر المبدع سعدي يوسف إنه يضع جبين شعره على طريق (الريل وحمد)، اذ ان هذه القصيدة فتحت مسيرة جديدة في الشعر



فان الفنان المبدع، كوكب حمزة، كان من اوائل من شد حقايبه، ليحمل العراق في قلبه وبين أوتاره ويرحل عام ١٩٧٤. في المنفى، وامام الحصار المرير الذي مارسه المؤسسات الثقافية العربية، ضد المثقف العراقي، بتحريض مباشر من مؤسسات النظام الديكتاتوري في العراق، كان الفنان العراقي وخصوصا الرفض لسياسة النظام الديكتاتوري، والذي قبل بالمنفى مضطرا من اجل الحفاظ على موقفه وكرامته الانسانية، يتجرع خيباته واماله باستمرار امام صعوبة تنفيذ مشاريعه الفنية، سواء في تسجيل اغنية او طبع كتاب او اقامة معرض رسم، كان المبدع العراقي يحفر بأصابعه المجردة جدرانا صلبة من الصخر، لم يحتل البعض المواجهة، ولم يتمكنوا من المواصلة، فاعتكفوا وركنوا للصمت، ان لم يتركوا العمل في مجالهم الابداعي ويتوجهوا الى مجالات عمل اخرى. لم يكن كوكب من هؤلاء، كان مقلا في اعماله، ولذلك اسباب عديدة، نجد له العذر في بعضها، ولكنه بشكل عام لم يتوقف. مع زملاء فنانين، ملحنين ومطربين وشعراء اغنية، حملوا راية المواصلة والعمل من اجل الثقافة العراقية، واستمرار مسيرة الاغنية العراقية الاصيلية، وكانت له نشاطات في انشاء فرق فنية غنائية عديدة، في اماكن مختلفة من المنفى العراقي. صحيح ان هذه الفرق كان لبعضها اغراضا تعبوية ودعائية سياسية ضد النظام الديكتاتوري، وانها لم تنجح لأسباب موضوعية في انتاج اغنية تنتشر تجاريا، الا ان كوكب حمزة وزملاءه اثبتوا بذلك موقفا مسؤولا واضحا من خراب الاغنية العراقية داخل الوطن الذي كان يتم على يد مرتزقة الفن من طابلي النظام الذين يعيشون على فتات الطاغية ويجعلون له جرائمه ويرقصون على جنث ضحايا حروب النظام العنيفة. حاول كوكب حمزة وزملائه، تقديم



متميز، كان أحد ابرز اعمدة تلك الفترة الذهبية، التي تربت على اغانيها ذائقة ابناء جيلي من العراقيين، وهذا سبب جعلنا لا نستسيغ ما تنشره فضائيات النفط من اغاني الهز والغجر بألحانها المكررة ونصوصها الهابطة المقيتة. كمستمع ومتابع، لطالما توقفت بأعجاب عند تجربة الفنان العراقي كوكب حمزة، الذي ملأ فضاء العراق، مع زملاء جادين مثله، باغان صارت هوية لجيلنا، الذي كان ضحية قمع نظام "قومانجي" فاشي ابتدأ بإرهاب معارضييه، ثم اشعال الحروب في المنطقة، واشدها كانت الحرب ضد ابناء الشعب العراقي بكل اللوان الطيف العراقي، وبما ان المثقف العراقي كان من الاهداف الاولى لنظام البعث الديكتاتوري،

الشعبي العراقي. القصيدة تحكي عن عاشقة مر قطارها ليلا بمحطة (ام شامات) حيث حبيبها الغامض (حمد)، فكانت تداعياتها ونكرياتها مترعة بالهيل والقهوة والفضة والاحترق والعتب والحزن، واذ قرأت القصيدة من قبل بعض النقاد قراءة سياسية، وفي ظل الاوضاع السياسية التي يعيشها العراق، فان الناس صاروا يتداولون القصيدة باحثين في كلماتها عن اشياء يريد ان يقولها الشاعر بلغة الرمز، وصار كل قارئ يقدم للقصيدة تفسيرات انطلاقا من قناعاته السياسية والفكرية. يمكن القول ان (الريل وحمد) كقصيدة، حصلت على شهرة غير عادية، ليس في العراق فقط، بل وفي كل البلاد العربية. هكذا لم اتفاجأ يوما، في موسكو عام ١٩٩١، وفي مناسبة طلابية، رحبت بي مجموعة من الاخوة الاردنيين واللبنانيين بالاشتراك معا بقراءة مقاطع من هذه القصيدة وترديد الاغنية بلحن محمد جواد اموري. واخيرا يأتي كوكب حمزة ليحاول ان يقدم تفسيرا لحنيا جديدا لهذه القصيدة، التي تعد من كلاسيكيات الشعر الشعبي العراقي، واجدني هنا ملزما بالقول، بانني لست ناقد موسيقيا، ولا باحثا متخصصا في الاغنية العراقية. لكني متذوق للأغنية العراقية الاصيلية، ومدمن لسماع المطرب داخل حسن وتلميذه المطرب حسين نعمة، وايضا الفنان فؤاد سالم وجيله من فنانين سبعينات القرن الماضي، الذين يوصف عهدهم بانه (العصر الذهبي) للأغنية العراقية. الفنان كوكب حمزة، مواليد عام ١٩٤٤، القادم من مدينة القاسم، والدارس في قسم الموسيقى في معهد الفنون الجميلة، بغداد، والمتخرج منه بتفوق عام ١٩٦٤، الذي اعتبره النقاد الفنيون واحدا من أفضل الملحنين في الاغنية العراقية، بل أحد المجددين فيها، وله أسلوب تلحيني

كوكب حمزة والانتقالات اللحنية والمكانية



علوان السلطان



(يستطيعون ان ينزعوا الحياة.. لكنهم لن يطفئوا غنائي).. لويس اراغون
الموسيقى... لغة العصر الكونية.. اقترنت منذ
النشأة الاولى بالطبيعة وما يدور فيها.. اذ
كانت (الاصوات التي تخرجها الطيور الانموذج
الاصلي لهذا الفن الروحي).. أما أول الة
موسيقية فقد انتجتها الحضارة السومرية
وانامل صنعها.. فكشفت عن عمق واصالة
الحضارة العربية.. ومع الامتداد الزمني
ظلت الموسيقى مرتبطة بالحياة حتى انها
عدت وسيلة فاعلة في الابرار الروحي وفهم
عمل الفكر والاحساس العاطفي على النطاق
الانساني.. فشكلت لغة التفاهم بين الاجناس
البشرية بتخليها وتجاوزها اللون والجنس
والمكان والزمان.. مما دعا باهتمام الفلاسفة
وعلماء النفس الى الاهتمام بها واكدوا على
اهميتها التربوية والنفسية ودليل هذا توظيفها
في الافراح والاحزان والاعباد وبيوت العبادة..
حتى ان اليونانيين اوقفوا اكثر البرامج التربوية
عليها فعدت (اول مهذب للخلق) على حد تعبير
ارسطو الذي قسم اللحن الى:

١. لحن تثقيفي (يؤثر على الحواس الاخلاقية)
٢. لحن عملي (يثير النشاطات)
٣. لحن حماسي (يغير الطرب)

أما حاضر الموسيقى فانتسعت مجالاته واخذ
يدرس في المعاهد والكليات ومدارس الموسيقى
وبالبالاه.. وكان من نتيجة هذا بروز الكثير من
الملحنين كان من ضمنهم كوكب حمزة الذي يشكل
احد اعمدة التجديد الموسيقي.. لذا فالحديث عن
ملامح الاغنية العراقية يستوجب بالضرورة
التوقف عند الضربات اللحنية التي اجاد بها
فاستفرت وحركت الذاكرة الجمعية المستهلكة
بحكم التنوع في الاشكال اللحنية المازجة ما
بين التراث والمعاصرة.. فضلا عن دوره في
تطوير الانشودة الوطنية التي تكشف عن
مواقفه المبدئية والحانه الوطنية المنفتحة على
الفضاءات الكونية.. كما في: انشودته التي كتب
كلماتها الشاعر عريان السيد خلف:

يطفال كل العالم يا حلوين

يطفال تشبلي الخائرة وفلسطين

رادت امريكا تبوك كل جلماتكم.. ما تكرر

رادت الظلمة تطفي كل بسمااتكم... ما تكرر

ما تكرر الظلمة تسد كل الروايزين

حلوين لو كل ما يطول الليل حلوين

فضلا عن تفرد في التجديد اللحني بحكم
دراساته الموسيقية المنطلقة من معهد الفنون
الجميلة فمعهد الدراسات الموسيقية فانربيجان
التي اضافت الى خزينه الفكري اضافات خلاقة
انعكست على منجزه الموسيقي الذي صار
جزءاً من الذاكرة الجمعية والوجدان الشعبي
والانساني.. كما في اغنيته (ياطيور الطيارة)

بإيقاعات حزينة تظهر واضحة على حنجرة
المطرب ياس خضر الذي تشبع صوته بالحن
المجالس الحسينية التي عرف بممارستها في
مطلع حياته قبل احترافه الغناء، وهكذا اذ تخيل
صورة المرأة التي تقدمها لي اغنية (الريل وحمد)
بصوت ياس خضر والحن محمد جواد اموري،
فاني ارى امرأة عاشقة، مكسورة القلب، ضعيفة،
دموعها تسيح بصمت، ومتفلسة بثيابها الداكنة
اللون، وهي ترنو بانكسار الى (أم شامات)، من
نافذة القطار وتعاتب الحبيب الغادر عتابا مترعا
بالفقدان!

.. اين كوكب حمزة من هذا؟

ازعم بأن كوكب حمزة لنا ليس مجددا فقط، بل
وجريء في اقتحام المحظور في الذاكرة العراقية.
هذا ما دفعني لتوزيع رابط اغنية (حمد)، ما أن
عثرت عليها، على الكثير من اصداقائي ومعارفي،
طالباً وجهات نظرهم، وعبر البريد الالكتروني
والهاتف وصلتني العديد من الردود. الى جانب
الاججاب سمعت تلك الآراء التي لا تزال متعلقة
باللحن الاول، لحن محمد جواد اموري، الذي
تشربوا به واعتادوا عليه. أحدهم كان غاضبا
لهذا الايقاع الراقص الصاخب الذي يقدمه لحن
كوكب حمزة الجديد، ويرى انه يبتعد عن ايقاع
رؤى القصيدة ويتنافر معها، ويعتقد ان الاغنية
بهذا تفقد روحها العراقية!! اعيد القول بأنني غير
متخصص موسيقيا، وهكذا لا اعرف لاي مقام
ينتمي لحن كوكب حمزة الجديد، لكن ما يحسب
لكوكب حمزة في هذا اللحن، ان اراه يتحدى
كل هذا الارث الموسيقي العراقي الذي تشبع
بإيقاعات الطقوس الحسينية، التي لم ينح منها
كوكب حمزة نفسه في بعض الحانه الشهيرة.
فمثلا اغنية (بنادم) الشهيرة، التي قيل انه
لحنها في شهر محرم، فجاءت مشبعة بإيقاعات
الطقوس الحسينية، ورغم ان لحنه الجديد
لقصيدة (الريل وحمد) نجد أن الطبول تسود
ايقاعاته، ونسمع انين النايات التي يعيشها
كوكب حمزة، الا ان لحنه يكشف روح التحدي
الكامن الذي تحمله لغة قصيدة (الريل وحمد)،
والذي غاب عن اللحن الاول، واذ اود رسم صورة
للمرأة التي يمر قطارها بمحطة (أم شامات)،
والتي يقدمها لنا كوكب حمزة، فأني ارى امرأة
اخرى مختلفة. ارى امرأة عاشقة قوية، حزينة
بشكل نبيل، تجلس الى جانب الشباك والهواء
يمر عبر خصلات شعرها، مرفوعة الرأس، تعاتب
بمرارة وتداري احتراقها، وتنطق كلماتها واسم
(حمد) بروح تحد ومواجهة، تغني وعيونها ترنو
الى المستقبل مترعة بالأمل وهي ماضية في
طريقها مع القطار الذي لن يتوقف!

اغنية امينة لتراث الاغنية العراقية السبعينية،
فكانت هناك اعمال المبدعين مثل الفنان سامي
كمال، الفنان حميد البصري وفرقته، الفنان طالب
غالي، الفنان فلاح صبار، واخرين.

في جبال كردستان، أيام الكفاح المسلح
لجناات الانصار الشيوعيين (Partisan)
ضد نظام صدام حسين، في ايار ١٩٨٢، التقيت
الفنان كوكب حمزة لأول مرة، كان (ابو جميلة)
النصير، نحلا وديعا وحالما، لا يملك من الات
موسيقية، سوى الة تركية وتريه، يسمونها
(جنبش). باعتقادي انها من سلالة الة العود.
لكنها مكنته من اعداد الحان للانصار الشيوعيين
تتغنى بنضالهم وتجربتهم، كنت انصت الى
(ابو جميلة) وهو يتحدث بألم عن الخراب
الذي حل بالاغنية العراقية على ايدي النظام
الديكتاتوري ومزيفي الفن العراقي، وكيف ان
ملحنين معروفين سبق وقدموا اعمالا غنائية
ساهمت في رسم روحية ذائقة الشعب العراقي،
اضطروا لان يلبسوا الحانهم الخاكي ويزعقون
مضطرين او عن ايمان وحماس. مع مرتزة،
من شعراء وملحنين ومطربين، بالمشي للحرب
الجنونة التي احرقنا الاخضر واليابس. بعد
سنوات كردستان، كان البعض يعتقد ان قسوة
ظروف المنفى، وعدم الاستقرار، تدفع بمبدع (يا
طيور الطيارة) و(القطر بعيدة) و(محطات)
و(بنادم) و(يا نجمة) و(حاصودة) و(نحبكم)
و(همه ثلاثة للمارس يروحون) وغيرهما الكثير
من الالحان الخالدة، الى النضوب والجفاف، لكن
ظن هذا الصنف من الآراء خاب مع ظهور الحان
جديدة للمبدع كوكب حمزة، رسمت بصمتها في
مسيرة هذا الفنان الاصيل، فكانت مثلا اغنية
(بساتين البنفسج)، بالتعاون مع الشاعر المبدع
رياض النعماني، ومجموعة اخرى من الاغاني.

الفنان الملحن كوكب حمزة، كان مكتشفا للعديد
من الاصوات الغنائية المتميزة، وصقل تجربتها
بالحن، وساهم في صعودها وصناعة مجددها،
هو من قدم للعراقيين والعالم العربي، اصوات
صارت نجوما لامعة مثل حسين نعمة، سعدون
جابر ورياض أحمد ومثله لا يكف عن البحث
عن الاصوات الجديدة، ولا يتوقف عن الابداع،
لان الموسيقى العراقية الاصيل تسري في روحه
مثلما مبادته في الحياة في العمل لبناء حياة
جديدة وأفضل للإنسان المعذب.

هكذا جاءت اغنية (حمد)، التي ادخلتني شخصيا
في حالة من هوس الاعجاب، الاغنية تؤدي من
قبل صوت عراقي شجي، المختصون قالوا عنه
(أنه صوت بحاجة للمزيد من التدريب)، لكنه
عندي اكتشاف جديد لكوكب حمزة صاحب
التحديات!

.. وهل نحن في حالة حرب؟!

الامر ليس بهذا المعنى الحرف، لكنه بكل حال
شيء من الصراع، صراع من اجل الأفضل.
الاغنية الجديدة التي قدمها كوكب، هي مقاطع
مختارة من قصيدة (الريل وحمد)، التي يحفظها
العراقيون اذ صارت واحدة من محفوظات
الشعب العراقي.

.. وأين التحدي هنا في لحن كوكب حمزة هذا؟

لست متخصصا في المجال الموسيقي، لذا أعلن
باني لا اعرف لاي مقام ينتمي لحن (الريل
وحمد) بأنامل الملحن العراقي الاصيل محمد
جواد اموري. لكنه بالنسبة لي لحن هادي،
حزين تحسن فيه ان الملحن استعار شيئا من
ايقاعات الليل الحزينة ليقدم لحنا عراقيا حفر
لنفسه مكانة خاصة في ذائقة العراقيين، فلا
يوجد عراقي، لم يردد هذا اللحن في ساعاته
حزنه او شوقه لأهل او حبيب وصديق، هو لحن
عشق يصلح لكل الطقوس، في السفرات المدرسية
رده الطلبة العراقيون، في زناات السجون
وفي ليال المنافي الثقيلة، وهو لحن محمل

التي هي من كلمات زهير الدجيلي..

ياطيور الطيارة مري بهلي

ياشمس الدائرة ضوي الهلي

سلميلي وغني بحجايانته

سلميلي وضوي بولاياتنه

وهناك (القطر بعيدة) و(محطات).. التي

تكشف عن انتقالاته ابتداء من العراق ١٩٧٤..

مرورا بكردستان وسوريا وجيكوسلوفاكيا

فالانحاء السوفيتي فالمغرب العربي والتزود

المعرفي الموسيقي بالقاهرة وتقديم الحانه لأسما

منور التي غنت له (دموع ايزيس) التي هي من

كلمات احمد فؤاد نجم والحانه منها:

المية قالت للباسات السندي غنوة حنين

واستأنفت نفس السفر

يازرع اخضر.. انت ليه واقف حزين؟

افرح وضحك

واستحمي بالقرم

وانتهاء بالدمار والاستقرار في كوبنهاغن..

كوكب حمزة الذي يعي جيدا ان الاغنية العراقية

قد اصابتها الاختناق ففتحها من الحانه اوكسجينا

مضافا بدراسته الفلكلور الذي اضفى على الحانه

تلاحقا فنيا نتيجة الممازجة بين الحداثة والامتداد

التاريخي التراثي كما في (يانجمة) التي تفرد

لحنها وجمع ما بين الفلكلور والموشح..

نظراته ويه الجفن باتن يوان هوى

جلماته هودج عرس.. فرجه ومراد هوى

ضحكاته نسمة صبح تتلاعب ويه الهوى

طيبة وفه ياترف كل المحاسن حوى

كوكب حمزة الذي هجر التلحين ورمى عوده

جانبا لثماني سنين احتجاجا على ما اصاب البلد

من خراب نتيجة الخريف العربي ورجال سياسة

الصدفة... الا انه ينتفض من جديد كطائر الفينيق

ويمسك آله بعد ان قرأ نص الشاعر السورية

ديما قاسم الذي استفزه وحرك ذاكرته واضطره

الى تلحينه لحنا بمستواه الجمالي والفني او

يفوقه.. وتحقق ذلك فصار انشودة على الشفاه..

عن الابداع الشعري والتلحين في العراق

عبد المحاب الناصر



في عراق السبعينات كان الإنتاج قد تبلور و اكتمل منذ بدايات الخمسينات، و بالأخص بعد ثورة تموز المجيدة. اخترت اغنية ذات كلمات معبرة رائعة و تلحين للشاعر العراقي المرحوم ذياب كزار، عصر كوكب حمزه بذكاء فطرته الفنيه كل الالحن العراقية في جملتين موسيقيتين جميلتين، و اداء جيد اكد عليه الاستاذ كوكب حمزة يوم غناها بصوته ليكون اكثر تعبيرا للنص الشعري غير اداء سعدون جابر المتوسط في حينه وهو فنان كبير.



الاغنية من كلمات ذياب كزار (ابو سرحان)، الحان كوكب حمزة:

"حدر التراجي برد، و الكنطرة بعيدة" من اصعب الخيال لأي كاتب او شاعر او فيلوسوف ان يكتب بروح شاب او شابة بغير عمره، و بالأخص في كتابة الشعر، فمن الصعب جدا ان يكتب شاعر قصيدة شعرية بحس غير احساسه (العمرى) و بجنس غير جنسه، اي ان يحس باحساس بنت مرهقة عاشقة في ريف من ارياف العراق الجميلة مع كل التحفلات العائليه و العشائرية عن العشق و الحب، و لاسيما لبنت قبل عمر البلوغ في ريف صغير يقال له (السلف)، اي يتكون من عائلات و من عدة اقواخ متقاربة في طرف من اطراف المزرعة، تكون سكانه عادة من اعمام و اولاد اعمام، و أحوال. ملخص القصة:-

ان بنت دون سن البلوغ احبت شاباً من اهل السلف عشقته بكل جوارحها التي لا تتمكن من البوح بها لاي من الناس، حتى لاخنها او لامها. تركها حبيبها خوفاً من افتضاح امرهما، بعد ان وعدها انه سيعود ليتزوجها. و طال الامر و بقيت هذه البنت لوحدها مع حبها و عشقها و خلجها و كل احساسها المرهف، سجينه المكان و العادات. اقف. اجالا للاستاذ ذياب كزار، كيف تمكن من كتابة هذه القصيدة و كانه شاب مازال مرهقا و عاشقا. ككل اوقات بدايات شروق الشمس عند الغسق في العراق يكون الجو ذو مسحة باردة شفاقة جمية و شاعرية. صحت هذه البنت قبل الشروق ككل صباح حاملة و سعيدة باستمرار حلمها بملاقات حبيبها الذي تسعى للوصول له، تسير كل يوم مشيا الي حد القنطرة فوق النهر الذي يروي مزارع العراق. و كل مره او مع كل حام احست ببعد القنطرة، ليست لانها بعيدة، لكن لصعوبة تنفيذ حلمها بالهرب الى حبيبها، الذي طال انتظاره. اذا هو حوار داخلي بين الرغبة و الحياء و الشرف. فتعترض هي لنفسها فتقول:-
وأمشي وأكول وصلت..



زغيره و جواني العشك و توسد إزلوفي و يتصاعد الاحساس بالحب عند هذه البنت بالضيق و الحرمان فتحس و كان قلبها يكبر و يكبر، و لن تخفيه ثيابها (ما لمني نفنوفي). هيمه و جحيل الوكت... ما لمني نفنوفي ثم يأتي العتب و اللوم و و، و لعدم وفاء حبيبها بالعودة لها. وهي تحت رحمته بالعودة لها لوذي إعله بعد البعد يا روجي حدر إيد و أمشي و أكول وصلت و الكنطرة بعيدة لحن الاستاذ كوكب حمزة هذه القطعة الموسيقية بكل احساس اهل الجنوب و عشقهم و عفويتهم و احلامهم فابعد اي ابداع. اناها ايصال لمقطعين، الاول بصوت كوكب، و الثاني بصوت سعدون جابر لكن سعدون و مع كل الاسف لم يصور الاداء احساس البنت (الصفيره) بكل عشقها و احتشامها و تعلقها بالحبيب و الاهل في نفس الوقت. كما صورها الاستاذ ذياب كزار و غناه كوكب. مرجى لكل من يكتب عن الحب العفوي الشريف، غير المذل او الفاضح كما هي الحال في ايامنا هذه. قال الاستاذ محمود درويش عن الشعر و العراق (ان الشعر يولد في العراق، فكن عراقيا لتصبح شاعرا يا صاحبي).

يا دفو جمل دفو .. ويا كمر ضوئلي ملاحظة: لكون ارض العراق ارض منبسطة و واسعة، يمكن ان نشاهد الشمس في اول لحظاتها عند الغسق كخيوط عندما تتباين من بين الغيوم البعيدة و الخفيفة. هنا تستمر البنت في حلمها و ان كان بعيداً و غير حقيقي، لكنه حلمها هي، هذا حوار داخلي صامت و عميق، يقال له (Internal dialogue)، تستمر في حلمها فتطلب من خيوط الشمس ان تصنع لها (طوق) كاطواق العرائس يوم زفافهم و تستمر في التمني اكثر فتطلب طوقين. ويا ذهب خيط الشمس طوكين سويلي لا يكلّي طوك الذهب و الدغش ما ريد و أمشي و أكول وصلت و الكنطرة بعيدة عند هذه البنت كم هائل من العفة و الحشمة مع كل عشقها العميق و مرارته لذا نراها لا تقبل (الدغش) اي الحب إلا بطريقة شريفة كالزواج، كما هي تعترف هنا بعشقتها و تتوسل من (برد الصبح) بان يلامس يديها بعطف (ما تحمّل جفوفي)، لانها صغيره و قد كواها العشق الذي توسد شعرها عند رقبتها. و اجمل ما تحس به النساء هو ما بين الاذن و الرقبة، يكون شغف لا يوصف. لا.. لا يبرد الصبح ما تحمّل جفوفي

و الكنطرة بعيدة و كضني مشي الدرب تعبني مشي الدرب و الشوك هن الكلب. و الكنطرة بعيدة لاحظ الاعذار التي تختفي خلفها هذه البنت بدء بوخوفها من مس شرف العشيرة على الرغم من انه مجرد "امل" فهو الامل و الشوق الطويل لملاقات حبيبها. هذه كلمات عذرية رائعة. امشي و اكل وصلت، الكنطرة بعيدة نكضها المشي و الشوق هن قلبها الشوق لكن الكنطرة بعيدة و تحس بلسعه الجرد و ارتجافها الذي هن حتى خلايلها. ثم تتوسل دفا الغطاء ان يزيد دفئها، او ان يحتضن الدفء حبها، و تطلب من القمر الذي مازال في اطراف السماء ان يضوي لها، اي يضوي طريقها لو هربت، وهو اي القمر بين طبقات السماء و النجوم. ثم تحس بخيوط من شعاع الشمس وهي في بداية شروقها. حلماة برد الصبح رجف خلايلها

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

فخرى أريم

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الإلكتروني
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

كوكب حمزة... سريلالية الطيور الطائرة!

نعيم عبد مهلهل

كوكب حمزة (الملحن المثقف) من صنّاع هذه الأغنية، عجن من جنوبها هاجسا غريبا امتد بأمنية مدهشة على أجفان الخرائط وأرائك الصفينة واستعادة ما بقي هناك (بيوت الطين والقصب، أسراب السنونو، قصور ملوك سومر، المشاحيف التي تنتزه عليها الآلهة، دموع عباوات أمهات شتال العنبر وحجرة شبعاد، الخيل المنحدر من ذكورة السيوف، المطرقة والسندان ولذة اكتمال النضوج في ذكورتنا وأنوثتنا، وأخيرا منائر الموزايك الأخضر لضريح

تشغل الأغنية الجميلة مكانها في القلب كما تسكن الدمعة أريكة المقهى، وكما امرأة صنعت من جنوبها بدفاتر الذكريات احمرأ لشفاه قبله تنتظرها بشغف!...



القاسم ع... حيث ولد كوكب حمزة)... هذا كوكب حمزة، بعض طعم سريلالية ودهشة سبعينات القرن الماضي، كان من ضمن الجيل الذي وعى الحلم بجنونه وليس بعقله فأتى ليسطر أحلام القصيدة الشعبية العراقية بموازاة خفق القلب فلحن لنا أساطيره وعيه ومهبطه وذاكرته البابلية الساحرة التي شربت من جنيات ليل العشار خمرة السلطنة فكان الرجل وكانت ألعانه شجنا يعبر هاجس الحلم كما يعبر العناق إلى احتراق النار المشتركة بين خل وخله!...

كوكب الذي وضع للحن الماركسي هويته الميافيزية وأسكنها جنوب القلب كما يسكن العصفور رقة غرامه في العش الدافئ. صامت الآن ولكنه موجود!... لحن يا طيور الطائرة، هوية لدمعة المغترب ليجد وطنه ويتواصل معه، ولحن الأغنية المسماوية الرائعة (أمشي وأكول أوصلت... والكنترة بعيدة..) ولحن الكثير..

ثم صمت ليقرأ ويحلم بسمفونيات سناتي!... لست بناقد ومؤرخ لتاريخ الفن لهذا سأحدث هنا عن لقاءات حميمية مع هذا الإنسان الذي عرفته من خلال صديقي وناشري الأخ ايمن الغزالي في دمشق وجلسنا ليل أنس كان فيها كوكب حمزة روحا شفافة تتحدث بوعي حاذق عن العولمة والكتب وهاجس الإنسان لاكتشف إن صاحب ملحمة (الطيور الطائرة) غارق في كل مذاهب الكتابة ويعي وجوده جيدا وقارئ وناقد من طراز خاص!...

كوكب حمزة.. بعد أن عرفته اكتشفت إننا لم نلتفت جيدا لصناع أحلامنا في بلاد كثر فيها المغفخات والسراق وكاتم الصوت وشحت فيها القصائد والأغاني وقصص طفولة أيامنا المؤسفرة بدهشة الفقر والدمعة وبراعة أن تبتسم لك بنات الميني جوب وثمالة يوسف عمر، ومستهلقات عاشوراء الساحرة! وكان على الدولة (وثقافتها) أن تسأل عن أمكنة هكذا مهرة ومبدعين، وان لا تتركهم يوقعون او تغافات الإعجاب لتذوق في المدن المغتربة فيما وطنهم يريد هم ليخلدوا فيه أزمته الجيدة. أزمته حلمه وبناءه وعولته وأشواق طرد الدبابات من شوارعنا ومعها نظرد حواجز الكونكريت وغرباء السياسة ومتصيدي المناصب بالشهادات المزورة!...

كنت انظر إلى عيون كوكب والى سنينه الستين فأعبر إلى جنائن بابل ومعني أناشيد ملوكها وبساتينها ومحلاتها القديمة. لأسمع منه طروحات عشق غريب.. ورؤى تشابه تماما تلك الهواجس السحرية التي سكنت أوتار عوده ليؤلف تلك العذابات المسكونة بالشجن والغرام واستعادة المكان بذات الجمالية التي تحدث عنها غاستون باشلار في كتابه (جماليات المكان)...

هذا الرجل تحفته في صمته واحترامه لموروثه الثر ولم ينزلق في موجة الإسفاف المركون إلى طبله هن النص...

بقي كوكب حمزة أمينا لما انتج وأعطى... ولهذا شعرت حين جالسته في سمر ليل كثيرة أنني احتفي بالعراق الممتد في عروق الحلم دهورا وحضارة واسراب شهداء...

معه تذكرت الطيور الطائرة.. تذكرت في فقه العبارة عنده. إن المبدع قديما كان يبدع من خلال مرجعات الأساطير والمسلات والألواح التي دونت القداسات والأناشيد وعبارات النذر ومن ثم يبدأ يحرك ريشته على وتر العود ليؤلف...

كذا هو كوكب حمزة.. الرجل الحالم ببلاد منحته عذريتها. فمنحها الخلود المكتوب على أجنحة الطيور!...

كوكب حمزة: الملحن "المجهول" ... لا يصلح للشهرة

سعد هادي

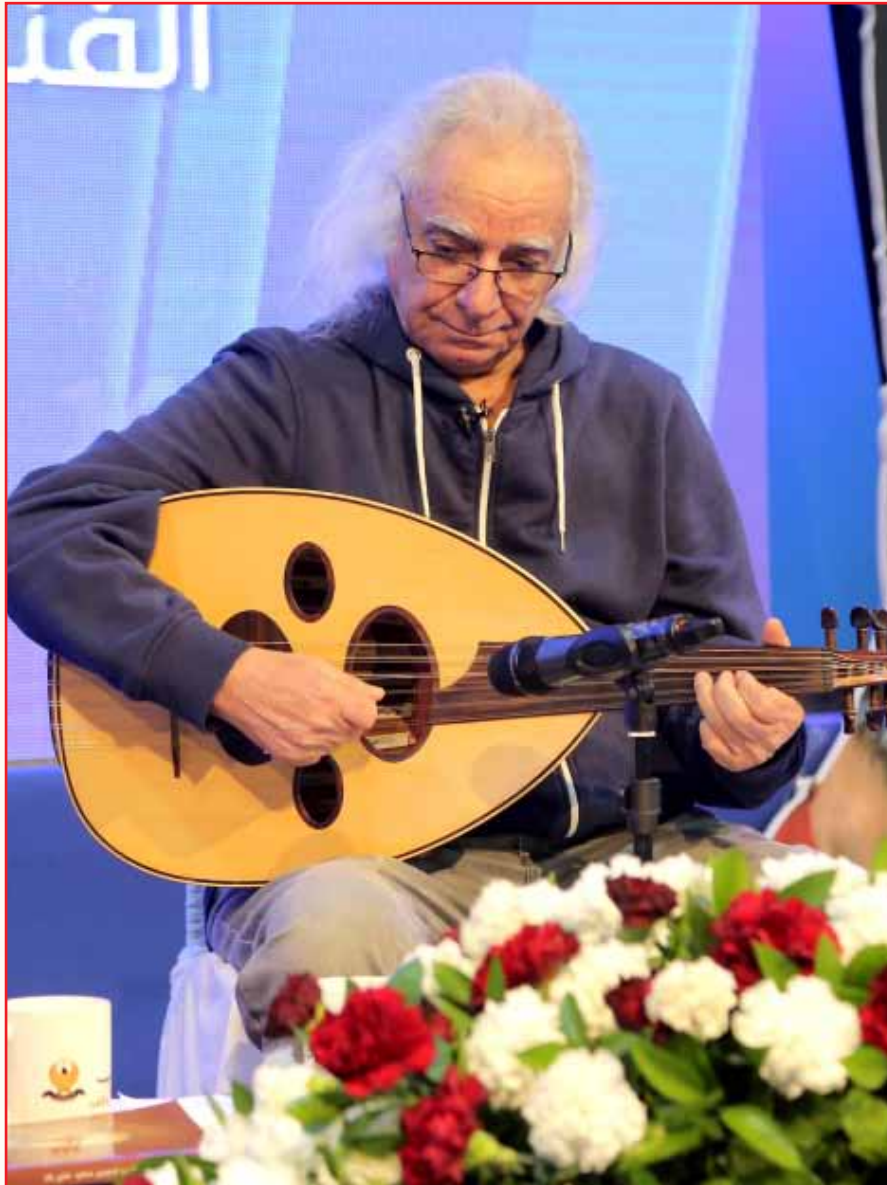


اعتُبر على الدوام من أفضل الملحنين في الأغنية العراقية، بل أحد المجددين فيها. واكتشف أفضل أصوات السبعينيات التي تكَرَّست لاحقاً على درب النجومية. لكن أعماله اشتهرت وحدها وتركته على قارعة الطريق. صاحب "يا طيور الطايرة" و"شوق الحمام" ما زال يقبع في المنفى، ويخطط لمشاريع جديدة.



لم يلحن كوكب حمزة خلال سنوات احترافه الفني التي تجاوزت الأربعين سوى ٥٠ أغنية. رغم ذلك، عدّ دوماً من بين أفضل الملحنين في الأغنية العراقية، بل أحد المجددين فيها. هو الذي غادر العراق منذ ١٩٧٤، اكتشف من خلال أغنياته ثلاثة من أفضل الأصوات في السبعينيات: سعدون جابر وحسين نعمة ورياض أحمد. سلك هؤلاء طريق النجومية بفضل الألحان الأولى التي قدمها إليهم، فيما تراجعت شهرته هو. حتى يمكن القول إنه أصبح شبه مجهول الآن عراقياً وعربياً، ليس لدى جمهور المتذوقين فحسب، بل لدى الكثير من المشتغلين في حقل الغناء والموسيقى أيضاً، وهو لا يعيد ذلك إلى خروجه المبكر من العراق بسبب موقفه السياسي، بل يعيده أيضاً إلى عدم سعيه لأن يكون مشهوراً. فالكثير من ألحانه تستنسخ وتوزع اليوم من دون أن يشار إليه، كما أن بعض ألحانه يقبع في الظل، رغم أنه، ومنه أغنية "نحجم" من شعر زهير الدجيلي، التي يعدها الأكثر تمثيلاً له. وقد اشترت حقوق تنفيذ هذه الأغنية شركة "ميوزيك بوكس" الإماراتية عام ١٩٩٦ مع أربعة ألحان أخرى له، لكن مصيرها ظل مجهولاً منذ ذلك الحين. يعترف كوكب حمزة بأنه يخضع لمزاجه كملحن مع شيء من الكسل، لكن مشكلته الأولى هي العثور على نص شعري مقبول.

بداياته كملحن كانت مع قصيدة "الريل وحمد" وهي من أشهر ما كتبه الشاعر العراقي مظفر النواب باللهجة المحكية. لكن ذلك اللحن الذي أنجزه عام ١٩٦٨ لم يسجل للإذاعة إلى جانب لحن آخر من شعر النواب أيضاً هو "حن وانه أحسن". وقد لحن القصيدتين لاحقاً ملحنان آخران واشتهرا، فيما سقط لحنا كوكب حمزة من الذاكرة. حتى إنه شخصياً لم يعد يتذكرهما، لكنه جرب في الشهور الأخيرة أن يعيد تلحين "الريل وحمد" ويقدمها بتوزيع أوركسترا لي جديد وبصوت مطرب شاب اكتشفه هو علي رشيد، وذلك تحية منه إلى "أستاذه" النواب الذي التقاه للمرة الأولى في أحد المعتقلات عام ١٩٦٣.



روادها. لكنه يقول إنه حاول فقط ولا يعرف المدى الذي وصلت إليه محاولته التجديدية. حتى أغنيته الشهيرة "يا نجمة" التي أداها حسين نعمة لا يعتبرها تجاوزاً فنياً كما ينظر إليها النقاد، بل إعادة صياغة عصرية للحن قديم. نعم، كان هناك مد يساري كما يرى وكان لمعظم المثقفين علاقة ما بالحزب الشيوعي أو بالأحزاب الأخرى، لكنها كانت مرحلة إعادة النظر بالذات، وانفتاح على العالم، وكانت ثمة حركة اجتماعية تنمو تدريجاً.

أعقبت كل ذلك فترة الاحتراب التي تميّزت بها سنوات الستينيات الأولى. وكانت السبعينيات بكل ما فيها أشبه باستراحة محارب، في انتظار الطوفان المقبل الذي سيأخذ العراق إلى المجهول. كانت لديه بالطبع في تلك السنوات أحلام كبيرة، لكنه لم يستطع تحقيق أي منها، كان جزءاً من حركة شاملة سرعان ما تلاشت. قدم حينذاك أغنيات ما زال الجمهور يردد من دون أن يعرف أن كوكب حمزة ملحنها: "يا طيور الطايرة" لسعدون جابر، و"شوق الحمام" لفاضل عواد، و"تانيبي" لفؤاد سالم، و"الحاصودة" لمائدة نزهت... و"محطات" التي غناها هو وكانت أغنية الشباب اليساري آنذاك. لكنه لا يخفي أن يكره صوته ولا يطربه كملحن، لذا لم يعد إلى الغناء ثانية... مثلما لم يعد يعزف الناي عشقه الأول، بسبب إدمانه على التدخين وتقديمه في السن.

مرافقاً سحره صوت الناي، كان يبكي حين يصغي إلى جار له يعزف عليه ليلاً. قرر أن يتعلم العزف مهما كان الثمن، وكان الناي وسيلة لقبوله في معهد الفنون الجميلة. لم يعرف أحد من عائلته أنه كان طالباً في المعهد، كان يظنون أنه يدرس في معهد لإعداد المعلمين. حتى حين وصلت برقية خلال العطلة الصيفية تؤكد نجاحه بتفوق في المعهد، لم يصدق أحد ذلك. لم يكن ممن يعول عليهم تلميذاً، مثلما لم يعول عليه أحد حين أصبح معلماً للموسيقى في البصرة لبضع سنين بعد تخرجه. كان الطلاب يحبونه لشيء واحد: كان يتغيب أكثر منهم؛ يعترف بأنه لا يصلح للتعليم، كما لا يصلح لأي وظيفة أخرى، وقد قضى سنوات حياته متفرغاً للفن. لكن إنتاجه ظل دون مستوى طموحه بسبب غربته، ومزاجيته، وبحثه عما هو جديد.

حين نسأله عن مثله الأعلى في التلحين، يجيب بلا تردد: رياض السنطاطي الذي تأثر به روحياً، وبلغ حمدي الذي يؤكد بأنه أستاذه المباشر. وقد قال له شاعر العامية عبد الرحمن الأبونودي حين زار مصر عام ١٩٩٩: "لقد جئت متأخراً يا كوكب، لو كان يبلغ حياً لما افترقتما، إنه يشبهك في أشياء كثيرة". أما الأصوات التي نظربه، فهي كثيرة لكنه يجد مبتغاه دائماً في الأصوات الجديدة. علي رشيد الذي يؤدي صياغته اللحنية الجديدة لأغنية "الريل وحمد" صوت مستقبل على حد وصفه، وقد حاز ثقة مظفر النواب الذي أعجبه الصياغة مثلما أعجبه الصوت. اليوم يفكر في قصائد جديدة للنواب لم تلحن قبلاً، ويعدها مشاريعه للقادم من الأيام. مشاريع نعم، أما التنفيذ فلا بأس من الانتظار لبضع سنوات، فمن يدري قد تتحسن الظروف ويعتدل المزاج.

كان النواب سجيناً مزمناً. أما حمزة، فقبض عليه بعدما شارك في "إضراب البنزين" كما عرف آنذاك. كانت تلك تجربته الأولى سجيناً، وقد أعقبتها تجارب أخرى. يتذكر أن الملحن فاروق هلال الذي اشتهر مطرباً وملحناً في وقت لاحق، كان يزوره يومياً في المعتقل... لكن السياسة فرقتهم، حين أصبح هلال من أشهر من لحنوا الأناشيد التي تتغنى بصدام. يتذكر أيضاً أنه أدى دوراً صغيراً في فيلم سينمائي من بطولة هلال رداً للجميل، رغم أنه كان يصاب بحالة من الرعب أمام الكاميرا. كما مثل في فيلم "أوراق الخريف"، وقد أعيد تصوير المشهد الذي يظهر فيه نادياً في بار مرات عدة، لأنه كان يخطئ في الحركة والحوار. لا يتذكر حمزة لماذا اختاره الفيلم حكمت لبيب لأداء

الدور، فيما كان زملاًؤه في قسم المسرح مجرد كومبارس في الفيلم. وحين سُجن ودخل الفيلم مرحلة الإنتاج، أضاف المخرج جمال الحواري بصوته لأن كوكب كان معتقلاً. بعد ذلك، لم يمثل حمزة مطلقاً، لكنه وضع الموسيقى لعدد من المسرحيات والأفلام والمسلسلات، من بينها مسرحيتان لجواد الأسدي وفيلمان لقاسم حويل. يتذكر أن أقرب أصدقائه في معهد الفنون الجميلة كانوا من طلبة قسم المسرح، ومنهم تعلم القراءة، وتورط معهم في نقاشات سياسية لا تنتهي. كانت الستينيات - كما يقول - فترة مخاض في العراق، أدت لاحقاً إلى إنجازات كبيرة في المسرح والفن التشكيلي والسينما والأدب والصحافة... وكذلك إلى حركة تجديد في الموسيقى كان حمزة أحد

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

